

## أم عمارة.. نسيبة بنت كعب

عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول  
- في شأن أم عمارة : « ما ألفتُ يوم أحد يميناً ولا شمالاً  
إلا وأراها تقاتل دوني » ..

### ● أسرتها

هي نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية الخزرجية  
النجارية وكنيتها أم عمارة .

أخوها : عبد الله بن كعب أحد المجاهدين الذين شهدوا  
بدرًا ، والثاني أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أحد  
الخاشعين البكائين من خشية الله ، تزوجت يزيد بن عاصم ،  
فولدت منه ابنها حبيباً وعبد الله ، المؤمنين المجاهدين .

وخلفَ عليها من بعده غزية بن عمرو فولدت له تميمًا  
وخولة .

## ● إسلامها

حين أراد الله أن يكون للإسلام تربة ينمو فيها غرسه وأرض تقوم عليها دولته ، ساق أبناء يثرب من الأوس والخزرج إلى موسم الحج فأسلم جماعة منهم على يد رسول الله ﷺ ، وعادوا إلى قومهم فانتشر الإسلام بينهم ، وكانوا يلتقون برسول الله في كل موسم عند العقبة بمكة يوصيهم ويبايعهم ، حتى كان العام الثالث لهم فتواعدوا عند العقبة أوسط أيام التشريق وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ، فبايعوا النبي عليه السلام أن يمنعه مما يمنعون منه نسائهم وأبنائهم وأنفسهم ، وكانت المرأتان اللتان شرفهما الله بهذه البيعة هما : أم عمارة ، وأم منيع أسماء بنت عمرو .

روى الواقدي عن أم عمارة قالت : كانت الرجال تصفق على يدي رسول الله ليلة العقبة والعباس آخذ بيده ، فلما بقيتُ أنا وأم منيع نادى زوجي غزية بن عمرو :

يا رسول الله .. هاتان امرأتان حضرتا معنا تباعانك ، فقال :  
قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه ، إني لا أصافح النساء .  
وهكذا أسلمت أم عمارة مع السابقين ، وبايعت مع  
المبايعين ، لم يكن إسلامها تقليداً لأسرة ، ولا تبعية لزوج ،  
ولكنه كان إسلام القلب والعقل والإرادة ، فوهبت نفسها لهذا  
الدين الذى آمنت به ، تعمل به وتعمل له ، وتجاهد في  
سبيله .. في البيت .. في المسجد .. في الميدان .. في كل  
مكان .

وكانت طموحة عالية الهمّة ، تُريد أن تُثبت للمرأة  
المسلمة مكانها بجوار الرجل المسلم ، وكأنها لم يرض  
طموحها أن يتحدث القرآن إلى الرجال وتدخل المرأة تبعاً ،  
فأتت رسول الله تقول له : يا رسول الله .. ما أرى كل شىء  
إلا للرجال ، وما أرى النساء ، يذكرن في شىء . فاستجاب  
الله لها ، ونزل أمين السماء إلى أمين الأرض بقرآن يُتلى  
يُسجّل فيه موقف المرأة بجانب الرجل صراحة لا ضمناً .

وَقَصْدًا لَا تَبْعًا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ  
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ  
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ  
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ  
وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا  
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(الأحزاب: ٣٥)

## ● في ساحات الجهاد

قال شاعر عربي :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا      وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُ الذُّيُولِ  
وَقَالَ آخَرُ :

خُلِقْنَا لِلتَّجَلُّدِ وَالْأَسَى      وَتِلْكَ نِسَاءُ لِلْبَكَاءِ وَالْمَاتَمِ  
يَبْدُو أَنَّ أُمَّ عِمَارَةَ غَيَّرَتْ ظَنَّنَ الشَّعْرَ ، وَأَبْطَلَتْ رَأْيَ  
الشَّاعِرِينَ ، فَلَمْ تَرْضَ أَنْ يَكُونَ نَصِيبُهَا جَرُ الذُّيُولِ عِنْدَ  
النُّصْرِ ، وَلَا الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ ، بَلْ كَانَ هُمَاهَا أَنْ  
تُسَهَّم - مَعَ الرَّجُلِ - فِي اجْتِلَابِ النُّصْرِ ، وَدَرءِ عَارِ الْهَزِيمَةِ .

وها نحن نراها تحضر معظم الغزوات مع رسول الله ﷺ ،  
تخدم المجاهدين ، وتُحرض المقاتلين ، وتُثبت المترددين ،  
وتقوم على الجرحى ، وتحمل الماء للعطاش ، فإذا جدَّ  
الجد أو انفراط العقد ، وناداهم الموقف شهرت سلاحها  
وقاتلت قتال الأبطال ، وثبتت ثبات الجبال .

شهدت غزوة أحد هي وزوجها وابناها ، ومعها شُجُّ  
لتسقي الجرحى ، ورأت انتصار المسلمين في الجولة  
الأولى حتى غلب الضعف الإنساني على نفوس طائفة  
استهوتهم الغنائم وأرادوا الدنيا ، وتركوا أماكنهم التي عيَّنها  
لهم رسول الله ، فتحولَ ميزان المعركة ، وأتى المسلمون  
من خلفهم ، واضطربت الصفوف وانتشر النظام . وفي هذه  
اللحظات الرهيبة لم ينخلع قلب أم عمارة من هول الصدمة ،  
ولم يكن سلاحها الصراخ أو الدموع . لقد قاتلت وأبليت  
بلاءً حسناً وهي حائزة ثوبها على وسطها واقفة بين يدي  
الرسول تتلقى دونه الضربات والسهام ، وكأنها ترس يحميه ،  
حتى جُرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة

بسيف . ولما أقبل ابن قميئة لعنه الله يريد النبي ﷺ كانت فيمن اعترض له ، فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيما بعد ذلك غور أجوف ، وضربته هي ضربات .

دخلت عليها أم سعيد بنت سعد بن الربيع فقالت : حدثيني بخبرك يوم أحد ، فقالت : خرجت أول النهار ومعى سقاء فيه ماء ، فانتفيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والرياح والدولة للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله فجعلت أبأشر القتال وأذبُ عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إليَّ الجراحة .

فلا غرو أن يذكر الرسول فضلها وينوّه بشأنها ، فقال « لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ما التفت يميناً وشمالاً إلا وأراها تقاتل دوني » . وقال لابنها عبد الله : « بارك الله عليكم من أهل بيت .. مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيك (يعني زوج أمه) خير من مقام فلان وفلان ، ومقامك خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل بيت ! »

قالت أم عمارة : ادع الله أن نرافقك في الجنة .

قال : اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة

قالت : ما أبالي — بعد ذلك — ما أصابني من الدنيا .  
وفي الحُدُبية .. حين بلغ المسلمين أن عثمان قتلته قريش ،  
وقف النبي يُعلن في أصحابه : إن الله أمرني بالبيعة ، فأقبل  
الناس يبائعونه متزاحمين حتى تداكوا ، فما بقي لهم متاع  
إلا وطئوه ، ثم لبسوا السلاح — وهو معهم قليل — وقامت  
أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به فأخذته بيدها ،  
وجعلت منه سلاحاً ، وشدّت سكيناً في وسطها .

وفي حُنين — حين انكشف المسلمون — نرى منظرًا  
عجيباً ، امرأتين من الأنصار تقفان موقفًا رائعاً : أم سليم  
بنت ملحان معها خنجر قد حزمته على وسطها وهي  
يومئذ حامل بابنها عبد الله ، وأم عمارة تصيح بقومها  
الأنصار : أي عادة هذه ؟ ما لكم وللفرار ؟ وشدّت على  
رجل من هوازن فقتلته وأخذت سيفه .

## ● فى اليمامة

عاشت أم عمارة طوال حياة رسول الله تجاهد بجوار زوجها وابنيها ، حتى لحق النبي بالرفيق الأعلى ، وكان يكفيها جهادها مع النبي رصيلاً ضخماً تلقى به الله . لكن الجهاد - وإن كان صعب التكاليف مرّ المذاق - له حلاوة لا يسلوها من ذاقها ، ولا يحس طعمها القاعدون والمتقاعسون ، وقد تذوّقت صاحبتنا حلاوة الجهاد ، ولذة الكفاح ، فأبت إلا أن تشارك المجاهدين في حرب المرتدّين المتمردين في عهد الصديق أبي بكر ، وشهدت معركة اليمامة مع خالد بن الوليد ، تلك المعركة الرهيبة التي دار القتال فيها بين المسلمين وبين مسيلمة الكذاب ومن تبعه من المتعصبين والمضلّلين ، وقد عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو يقتل ، فإن لها عنده ثأراً أى ثأراً . أليس هو قاتل ابنها حبيب الذي كان النبي قد بعثه إلى مسيلمة برسالته فكان إذا قال له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم فإذا قال : أتشهد أني رسول الله ؟ سكت وقال : أنا أصمُّ لا أسمع . وفعل ذلك مراراً فغاض ذلك اللعين

الكذاب ، فما كان منه إلا أن قتله وقطّعة عضواً عضواً ،  
مخالفاً بذلك التقاليد المرعية أن الرُّسل لا تُحبس  
ولا تُقتل .

فلا عجب أن تستبسل ابنة كعب في المعركة ، تدفعها  
عاطفة الأم الموتورة وعقيدة المؤمنة القوية ، وإلى جنبها  
ابنها الثاني عبد الله يحفره نور اليقين في فؤاده ، وتلهبه نار  
الثأر لأخيه في حناياه ، وشاء القدر أن يلتقي سيفه وحرية  
وحشياً (قاتل حمزة) على مسيلمة ، رماه وحشياً بالحربة  
- وهو مسدّد الرمية - وضربه عبد الله بالسيف - وهو فتى  
الحروب وريبب الجهاد - فأطاحت بالملعون وارتاحت  
الأرض من شرّه .

أما الأم فقد قُطعتْ يدها ، وجُرحت بضعة عشرة جرحاً  
آخر تضاف إلى جراحها القديمة ، وبقيت آثارها في  
جسدها مفخرة ناطقة لها خاصة وللمرأة المسلمة عامة  
- هذا في الدنيا - وفي الآخرة تكون أشهادها عند الله ، حين  
تبعث بها يوم القيامة تقطر دماً : اللون لون الدم والريح ريح  
المسك .

\* \* \*

## عبرة

أرأيتَ أيها الأخ المسلم ؟ ! أرأيتَ أيتها الأخت المسلمة ؟ ! أن الإسلام العظيم الذي نسعد بالإيمان به ، ونهتدي بنوره المبين ، ونستظل بتعاليمه الوارفة ، نشعر بأخوته الوثيقة بيننا وبين ٩٠٠ مليون من أبنائه .. هذا الإسلام لم يأتنا مصادفة أو بفعل الخوارق ، لم يصلنا في طريق مفروش بالسندس والإستبرق ، ولكنه وصلنا في طريق مضرج بالدماء ، مفروش بالجماجم والأشلاء ، شارك فيه الرجال والنساء ، والشيب والشباب .

فاحرصي أختي المسلمة على هذا التراث الغالي ، وجاهدي من أجله ..

أما أنتَ أيها الأخ المسلم ، فلا يكن نصيبك فيه أقل من نصيب أولئك النساء .

